نظام الحسبة في الدولة الرستمية (160– 296هـ/ 777– 909م)

The Hisbah system in the Rustumid state (160- 296 AH / 777-909 AD)

محفوظ حني*
جامعة غرداية (الجزائر)
hani.mahfoud@univ-ghardaia.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2025/10/ 27 **تاريخ القبول:** 2026/05/23 **تاريخ النشر:** 2026/11/ 25

الملخص

عرفت بلاد المغرب نظام حسبة، فمن بين تلك الدول الرائدة في تطبيقه؛ الدولة الرستمية في الغرب الإسلامي، التي اعتبر فيها هذا النظام جانب مهم من جوانب الأمن فيها، حرصت فيها على تطبيقه مع الرعية من خلال تعيين من هم أهل لها. نتسائل عن بدايات هذه الوظيفة وكيفية تسييرها، ومن هم المكلفون بمهام المحتسب.

في ظل عدم إهتمام المشارقة الكافي بهذا النظام في المغرب الإسلامي، تطرقنا بالدراسة لبدايات الحسبة والقائمين بها ومهامهم في الدولة الرستمية من خلال رواية ابن الصغير في أخبار أئمتها، محاولين كذلك إثراء الموضوع بما عرفته أحواز الدولة إعتمادا على مصادر الإباضية، مع تتبع السياق التاريخي لهذه المهمة بمقارنة وضعية الحسبة في الدولة بالحواضر الأخرى. لنخرج بنتيجة فاعلية وظيفة المحتسب في أسواق أحواز الدولة وشوارعها، وتشابهها مع مهام الشرطة والقضاء هناك، رغم اختلافها تسمية وتعيينا مقارنة بحواضر المغرب الأخرى والأندلس.

الكلمات الدالة نظام الحسبة؛ القضاء؛ الشرطة؛ الدولة الرستمية؛ المغرب الإسلامي.

Abstract:

The Maghreb countries were known for their Hisbah system. Among the pioneering states in its implementation was the Rustumid state in the Islamic West, which considered this system an important aspect of its security. It was keen to implement it with its subjects by appointing qualified individuals. We ask about the beginnings of this function, how it was administered, and who was entrusted with the duties of the Hisbah.

Given the lack of sufficient attention paid by Eastern historians to this system in the Islamic Maghreb, we examine the beginnings of Hisbah, its practitioners, and their duties in the Rustumid state, based on Ibn al-Saghir's account in "Akhbar A'immah". We also attempt to enrich the subject with what the state's surroundings knew, relying on Ibadi sources, while tracing the historical context of this function, to compare the status of the Hisbah in the country with other capitals. We conclude that the

	muhtasib's role is effective in the markets around the country and its streets, and that it is similar to the duties of the police and judiciary there, despite the differences in name and appointment compared to other cities in Maghreb and Andalusia.
Keywords:	Hisbah system; Police; Judiciary; Rustumid state; Islamic Maghreb.

1. مقدمة:

تعتبر الدولة الرستمية (160- 296هـ/ 777- 909م) أولى الدول المستقلة في المغرب الإسلامي عن الخلافة الأموية في المشرق، ولسير الأمور في أرجائها المترامية الأطراف، ولعيش مختلف القبائل والمذاهب والأعراق وحتى الديانات في راحة واطمئنان وسلام، فقد عرفت نظام حسبة كغيرها من دول المشرق والمغرب الإسلاميين وكذا الأندلس. نتسائل عن ماهية هذا النظام، وظهوره في هاته الدولة، والمكلفون به، وما إن عرفته المدن الأخرى غير العاصمة.

لقد عرفت جل دول المغرب والأندلس إذن نظام حسبة، حيث تطرق المرحوم موسى لقبال إلى الموضوع في كتابه "الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي"، مبتدئا بطبيعة الحال بأولى تلك الدول وهي الرستمية، تاركا المجال للذين يأتون بعده لدراسة الموضوع دراسة وافية كافية، وهو ما حاولنا في هذا المقال تبيينه، والتعمق في هذه الوظيفة أكثر في الدولة الرستمية، والحديث عن القائم بهذه المهمة ومهامه وصلاحياته.

وعليه، فصلنا بالدراسة لكل ما يخص نظام الحسبة في الدولة محل البحث من خلال رواية ابن الصغير في أخبار أئمتها، كما أثرينا الموضوع بما عرفته أقاليم الدولة إعتمادا على مصادر الإباضية كالدرجيني في طبقاته، والشماخي في سيره، بل وحتى في دراسات مؤرخي بلاد المغرب ونخص بالذكر ابن عذارى في بيانه. كما حاولنا تتبع السياق التاريخي لهذه المهمة بالتطرق لعدد من المراجع منها دراسة الدكتور بحاز عن الرستميين، فضلا عن تحقيق المرحوم موسى لقبال السابق ذكره في جل بلدانه، لمقارنة هذا النظام بوظيفة القضاء وجهاز الشرطة في الدولة الرستمية من جهة، ووضعيته في الحواضر الأخرى.

2. تعريف نظام الحسبة وظهوره في الدولة الرستمية:

1.2 تعريف نظام الحسبة:

الحسبة حسب ابن منظور في معجم "لسان العرب" هي اشتقاق من الفعل الثلاثي حَسَبَ؛ ففي معرض تعريفه يقول: "(...) وأَنَّهُ لَحَسَنُ الحِسْبَةِ في الأَمْر أي حَسَنُ التَّدْبِيرِ والنَّظَرِ فِيهِ وَلَيْسَ هُوَ مِنِ احْتِسَابِ الأَجْرِ وفُلاَنٌ مُحْتَسِبُ البَلَدِ وَلاَ نَقُلْ مُحْسِبُهُ (...)"[1]. فابن منظور بهذا التعريف اللغوي أرجع لفظ الحسبة إلى التدبير والقيام بالأمر، التي منها عُرف القائم بها بالمحتسب.

أما مؤرخ المغرب الكبير والنسابة المشهور ابن خلدون؛ فيعرف الحسبة بأنها "وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، تعتبر فرض على القائم بأمور المسلمين، الذي يعين من يراه أهلا لها، ويتخذ الأعوان في سبيل تحقيق ذلك. تتمثل وظيفته في البحث عن المنكرات والتعزير والتأديب على قدرها، وحمل الناس على المصالح العامة في المدينة، مثل "المنع في المضايقة في الطرقات، ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها، وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة (...)" وردع من يقوم بالغش والتدليس في المعايش وغيرها، وكذا في المكاييل والموازين[2].

إن هذا التعريف الخلدوني أدرج الحسبة من الدين من كونها أمر بمعروف ونهي عن منكر بتعزير فاعله وتأديبه على قدر فعله، هدفها الصالح العام في المدينة، من خلال فرض النظام وإشاعة الإطمئنان بين الناس، إما تأمينا لهم من الأخطار التي تهددهم أو حصانة لأموالهم.

2.2 ظهوره:

عرفت الدولة الرستمية هذا النظام الرقابي، لكن لا يعرف بالضبط متى ظهر بها. ويبدو أنه كان موجودا منذ وقت مبكر لعهد الإمام أبي اليقظان بن افلح (261- 281هـ/ 875- 894)م[3]. ومما يدل على ذلك ما ذكره ابن الصغير؛ أنه عندما عاد أبو اليقظان من بغداد، ووجد أخاه أبي بكر بن افلح (258- 261هـ/ 872- 875م) إماما، لم ينكره ويعارضه ولا ادعى امارة ولا نازعه فيها، "بل يظهر القيام له والحسبة بين يديه"، مما يدل عن أن هذا النظام كان قائما في عهد أخيه أبي بكر، فصرف الأخير النظر في مدينة تيارت وأحوازها إلى أبي اليقظان[4].

وفي الشكل الأول[5] في الملاحق يتبين موقع ومدة حكم الإمامين أبي بكر وأبي اليقظان من مجموع أئمة الدولة السبعة.

اتخذ أبو اليقظان من أعلى مسجد في المدينة مجلسا له "فمن تكلم اليه من الناس بين العمال والقضاة واصحاب الشرطة نظر في ذلك نظرا شافيا واجرى الحق على من رضي وسخط عظم قدره او صغر، ولم تاخذه في الله لومة لائم، فحمد له الشراة[6] ذلك وحمد له اخوه فعله"[7].

وفي هذا الإطار، كانت لأبي اليقظان جولتان في المدينة؛ واحدة في النهار والأخرى بالليل، ففي النهار يعلم أخاه بما حدث في يومه أو يخبره أن المدينة أصبحت هادئة وأمست هادئة. وفي الليل يركب فيها دابته ويطوف في المدينة حتى أقصاها، ليطلعه غدا إن كان حدث حادث أو هدوء[8].

بناء على ذلك، يستنتج الدكتور ابراهيم بحاز أن أبا اليقظان أول محتسب يذكره مصدر في الدولة الرستمية، ليس كإمام كما كان سابقا؛ إذ تولى هذه المهمة في عهد أخيه، ويعتقد أن العادة جرت بعد ذلك على أن يتولى الحسبة غير الإمام، وهو ما تجلى بشكل واضح في عهد أبي اليقظان عندما ولي الإمامة[9].

كما يرجع كذلك إيحاء أبا اليقظان لأخيه الإمام أبي بكر بتعيين جماعة وليس فردا واحدا للحسبة، باحتمال تأثير فساد البلد بفتنة ابن عرفة[10]، التي سبقت حكم أبي اليقظان مباشرة، وهذا يدل على تفاقم الفساد واستشرائه، كما يدل من جهة أخرى على كبر المدينة، وكثرة أسواقها، بحيث لا يكفي محتسب واحد فقط لمراقبتها، ومراقبة الشوارع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصة في تلك الظروف[11].

ويتحدث ابن الصغير عن الإمام أبي اليقظان فيقول بأنه "أمر قوما من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قالوا، فإن رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه، وإن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها، وإن رأوا قذرا في الطريق أمروا من حول الموضع أن يكنسه"[12].

وبطبيعة الحال، كان المحتسب وأعوانه يعتنون بالنظافة والنظام، فقد كانت الدولة الرستمية أمة الدين، تتمسك به، وتعرف مغازيه، وتتأثر بشعائره، فمدنها نظيفة منظمة، وشوارعها نقية جميلة. وكان كل أحد يحرص على ما يتصل بداره من الشارع فيكنسه ويرشه، فإذا رأى المحتسب قذرا في الشارع أمر من حول المكان بإزالته. وكان كل سكان المدينة مسؤولون على نظافة المدينة، وإن أهل كل حي ليجب عليهم أن يجعلوا حيهم نظيفا منظما، ويزيلوا الحفر والأحجار في الطريق، وكل ما يؤذي السابلة، فإذا غفلوا، أعلموا بإزالتها وأن يتجنبوا عدم الإتكال والأنانية والبرودة وعدم المبالاة[13].

كما كانوا يرعون الحيوان أيضا، فإذا رأوا دابة حملت فوق طاقتها أمروا صاحبها بالتخفيف عنها، وإذا رأوا كلبا مهملا أو قطا بائسا قد أغفله أهله، أمروا أصحابه بالعناية به. وإذا كان مجهول الدار أخذوه إلى حيث يُطعم ويُحفظ. كما كانوا يراقبون الأبنية أيضا، فإذا رأوا بنيانا يتداعى أخلوه من سكانه، وأمروا أصحابه بهدمه. وإذا أنشأ أحد في وسط المدينة صناعة تضر الحي والجيران بأوساخها أو نتنها أو عجيجها منعوه، وعينوا له مكانا لصناعته خارج المدينة مع أهل حرفته. وإذا رأوا ظالما ضربوه على يده أو ملهوفا أغاثوه أو حريقا هبوا إليه، وهب معهم أهل المدينة فيطفئونه. وإذا وجدوا إبنا يعق والديه، ويتمرد على أهله، أدبوه وقمعوه وأعانوا أهله في تربيته[14].

وتماشيا مع تم ذكره، فقد كان النفوسيون هم الذين يتولون هذه الخطة، يرشحهم لها الإمام، وكانوا مضطلعين برعاية المؤسسات الحيوية في المدينة مثل: تقديم القضاة، إدارة بيوت الأموال، وإنكار المنكر في الأسواق، والاحتساب على الفساق[15].

أما في المدن الأخرى غير العاصمة، فلا تذكر المصادر الإباضية شيئا عن الحسبة فيها، إلا ما ذكره الشماخي عن رجل من نفوسة يدعى أبا يوسف وجدليش بن فِّي، كان آمر سوق جادو بجبل نفوسة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر و"يأذن لمن شاء أن يبيع ويمنع من في ماله شبهة"، وقد أجيز في الدين وكانت له حلقة أخذ عنه العلم فيها مشائخ عديدين[16].

وفي الخريطة[17] الموضحة في الملاحق يظهر موقع جبل نفوسة، ومختلف الأقاليم التابعة للدولة الرستمية، وكذا الدول المجاورة لها في تلك الفترة.

مما سبق يمكن القول، أن نظام الحسبة في الدولة الرستمية كان نظاما قائما بذاته بدء بأبا اليقظان، وذلك في عهد أخيه الإمام أبي بكر، ثم استعانته بجماعة من النفوسيين لمعاونته، وتتمثل وظائفهم فضلا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في إشاعة الإطمئنان والثقة والراحة للرعية في مالها ومعيشتها، مما شكلت هذه الوظيفة فضلا عن أدوارها الإجتماعية الهامة، دافعا مهما في سير الحياة الإقتصادية اليومية بالمدينة.

3. المحتسبون ووظائف القضاة:

1.3 شخصيات الحسبة:

أسست فرقة الحسبة من طرف أبي اليقظان كما سبق بيانه، وهي مختارة من وجوه القوم وصالحيهم تطوف المدينة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر. وتأسيسا على ذلك، قام بعض عمال جبل نفوسة بدور كبير في تغيير المنكر، وأسبقهم في ذلك أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[18]، الذي أخرج ورفجومة عن القيروان[19]، وكانت ورفجومة ولاة مدينة القيروان، فقد بلغ أن امرأة من نساء من المدينة كتبت رسالة إلى الإمام أبي الخطاب تشكو إليه جور هذه القبيلة تقول فيها "أما بعد يا أمير المؤمنين فإن لي ابنة وقد بلغت في الخوف عليها من ورفجومة والحوطة عليها أن حفرت حفرة تحت سريري، وصنتها فيها عنهم خشية أن يفسدوها كما فعلوا بأمثالها فانظر إلينا والسلام"[20].

كما أنجد أبو منصور صاحب جبل نفوسة في عهد الرستميين، سكان مدينة طرابلس أثناء فتنة ابن حاكم مصر العباس ابن احمد بن طولون (267هـ/ 881م) "حين أراد التغلب على إفريقية"، لما استغاثوا به من تعدي جنده من السودان على بعض حرم البوادي وهتكهم الستر. فقام محتسبا وناصرا جيرانه من المسلمين، فانهزم بن طولون وخرج إلى برقة، ورغم ذلك "لم يتلبس النفوسيون منه بشيء بل تورعوا عنه"[21].

2.3 وظائف القضاة:

كان قضاة الرستميين على أكبر نصيب من الإستقامة والنزاهة، فمن أشهر قضاة أبي منصور والي جبل نفوسة، عمروس بن فتح النفوسي الذي نقل مدونة ابن غانم الخراساني (12 جزء) عندما استودعه إياها. وأصبحت بعد إحراق أبي عبد الله الشيعي لمكتبة المعصومة، أهم المصادر الفقهية في المذهب الإباضي[22].

وممن عرف بالغيرة على محارم الله وحقوقه أيضا محمد بن عبد الله، قاضي الإمام أبي اليقظان، وقصته مع زكرياء ولد الإمام مشهورة، ذلك أن هذا الولد اختطف فتاة فاشتكت أمها إلى القاضي. وعندما فشل في إسترجاع الفتاة وإدانته في تلك الليلة، لم ينم حتى أدركه الفجر. وعندئذ ذهب إلى الإمام، وسلم إليه الخاتم كعلامة لتخليه عن وظيفة القضاء[23].

وما يجدر بنا ذكره أن الدكتور موسى لقبال أشار أن القضاة الإباضية كانوا يمارسون أيضا بعض مهام المحتسب من حيث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد لاحظ أن اسم المحتسب لم يرد بهذا الإسم في تاهرت، لاعتقاده أن وظيفة الحسبة لم تكن منظمة هناك، مثلما نظمت في الأندلس وإفريقيا، على أن ابن الصغير حدد اختصاصاته بقوله: "وهو الذي يتجول في الأسواق"...[24].

خلاصة القول، يظهر أن وظيفة المحتسب في الدولة الرستمية كانت أعلى شأنا من القاضي هناك، والتي هي وظيفة الإمام أو من ينوب عنه، لذلك كان الولاة الرستميين في المدن الأخرى على قدر كبير من ضبط النظام في من هو تحت وصايتهم بل أنجدوا غيرهم، ووقفوا في وجه الظلمة ومناكرهم، وصانوا حرمات الناس وأعراضهم.

4. تأسيس نظام الشرطة وأثره على إستقرار وضعف الدولة الرستمية:

1.4 التأسيس:

كان ضبط نظام الحراسة والسهر على الأمن في الدولة الرستمية عن طريق جهاز الشرطة[25]. فقد أنشأت هذه الفرقة منذ عهد الإمام الأول عبد الرحمان بن رستم، الذي عظم قدره وزهده وعدله حيث "رغب القوم في امامته ورأوا أنها فرض عليهم"، ففي معرض حديث

ابن الصغير عن النظام الإداري والإقتصادي المزدهر في عهد الإمام المذكور، يذكر أن "أصحاب شرطته والطائفون به قائمون بما يجب"[26].

وتبعا لازدهار الحياة الإقتصادية التي استفادت منها الإمامة؛ فقد ازداد دخل الدولة من الضرائب، فتمكن الإمام عبد الرحمان من إنشاء المصالح العامة لسكان المدينة[27]، ومن مساعدة المحتاجين من أعشار أهل الصدقة، ودفع أجور العمال، والباقي يوزع على الفقراء والمساكين بعد إحصاء من في البلد وحوله، ولا سيما أهل الفاقة من أتباع مذهبه، ومن الإنفاق على الجهاز الإداري للدولة، وذلك "مما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين وما اشبه ذلك فيقطع لنفسه وحشمه وقضاته وأصحاب شرطته والقائمين بأموره ما يكفيهم في سنتهم"[28].

ومن البديهي أن تكون سيرة الإمام عبد الرحمان في إسباغ العدالة وإقرار الأمن عن طريق هذا الجهاز دون تمييز بين المواطنين الأصليين والوافدين، عاملا هاما في توالي الهجرات "وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار، فقال [أحد وجوه الإباضية] ليس احد ينزل بهم من الغرباء الا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله"[29].

ومن وظائف الشرطة أيضا فضلا عن حراسة المدينة، تربية الشعب وخدمته. فقد كان الأئمة الرستميون وولاتهم لا يختارون لشرطتهم إلا الرجال العقلاء الأمناء المثقفين المخلصين ذوي الحزم واللطافة، لا يعنفون فيُذَلون الشعب، ولا يضعفون فيُتَمرد عليهم[30].

ومع التطور الإجتماعي والميل إلى حياة مترفة، ومع وقوع الفتنة في عهد الإمام أبي حاتم (281- 294هـ/ 894- 907م)، وفراره مع أنصاره من المدينة، انتشر الفساد والمجون فيها، فلما عاد إليها ووجدها على ذلك الحال، جمع مشائخ البلد إباضييها وغير إباضييها يستشيرهم في الأمر ثم عين صاحبي شرطة للقضاء على مظاهر المجون التي فشت في أحياء عاصمة الدولة[31]، وفي ذلك يقول ابن الصغير: "وكان البلد قد فسدت وفسد اهلها في تلك الحروب، واتخذوا المسكر اسواقا، والغلمان اخدانا، فلما ولي هذان الرجلان الشرطة قطعا ذلك في أسرع من طرفة العين، وحملا على الناس بالضرب والسجن والقيد، وكسرت الخوابي بكل دار عظم قدرها أو صغر،

وشردت الغلمان واخذانهم الى رؤوس الجبال وبطون الأودية (...) وشردت السراق وقطاع الطريق، وامنت السبل"[32].

2.4 تأثير الجهاز على استقرار وضعف الدولة:

لما توفي الإمام عبد الرحمان اتفقت الإباضية على تولية ابنه عبد الوهاب (170-190هـ/ 787- 806م)، ويصفه إبن الصغير بأنه كان "ملكا ضخما وسلطانا قاهرا"، ويعقب على ذلك بأن هذا الإمام انتقل من "حال الإمامة إلى حال الملك"[33]. وأصبحت بذلك الإمامة بالوراثة. لكن أهم ما يميز عهده إنشقاقات حدثت داخل المذهب فعلى "يديه افترقت الإباضية، وافترق كبراؤهم، وتسمى قوم منهم بالنكار، وتسمى منهم قوم بالوهبية"[34].

ورغم أن الإمام عبد الوهاب حاول توحيد المذهب من جديد، مقتديا بأبيه، حيث عرفت تاهرت في عهده تطورا كبيرا، إلا أن أنصار المذهب، ولا سيما أولئك المستقرين بالمدينة، سخطوا على تغير الأمور في إدارة شؤون الدولة الإباضية لما انتقلوا من "إمامة دينية متواضعة متقشفة إلى مظاهر أبهة الملك، ودواليب السلطان القاهر"[35]. ويخبرنا إبن الصغير أن سكان مدينة تاهرت خلو بمن انتجع إليهم من قبائل مزاتة وسدراتة وغيرهم في أشهر الربيع "فقالوا لهم ان الامور قد تغيرت والاحوال قد تبدلت، قاضينا جائر، وصاحب بيت مالنا خائن، وصاحب شرطتنا فاسق، وإمامنا لا يغير من ذلك شيئا، وقد جاء الله بكم فادخلوا الى هذا الامام واسألوه عن قاضيه وصاحب بيت مالنا وصاحب شرطتنا، وان يولى علينا خيارنا"[36].

ويمكن أن نعقب على الأحداث التي عرفتها تلك الفترة من ذكر إحسان عباس أن الصبغة العسكرية في زمن الإمام عبد الوهاب غلبت على ما عداها، لحاجته إلى القضاء على الفتن، وتوطيد أركان دولته، بل وحتى طموحه إلى التوسع الخارجي، فقد اجتمع له من الجيوش ما لم يجتمع لأحد قبله[37].

أما في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب فقد برزت فئة كان لها شأن مهم في الحياة السياسية وهي فئة العجم "رغم غموض دلالة اللفظ- من الفرس"[38]. وهم أغلبية سكان درب النفوسيين، والتي كانت حامية للأسرة الحاكمة في أيام الشدة، وكانت متحالفة مع الفئة التي

مثلت الدعامة الأساسية للنظام الرستمي وهي فئة نفوسة، فقد تحصنت الفئتين في حصن واحد أثناء الفتنة التي أضرم نارها العرب والجند– قدموا من إفريقيا– مطالبين بثأر ابن عرفة ضد الإمام أبي بكر بن أفلح[39]. أما اقتصاديا فقد بلغت فئة العجم ثراء أوضح من غيرها[40]، وبلغ من ثراء مقدمها المعروف بإبن وردة أن أنشأ سوقا يعرف به، فكان صاحب شرطة افلح اذا تفقد المدينة لم يجرؤ أن يدخل سوقه "ولا يتخلله هيبة"[41]. مما يسوقنا إلى الحديث عن ضعف أو تقهقر هذا الجهاز منذ عهد أبي بكر.

واستخلاصا لما سبق، فقد اكتسبت وظائف الحسبة والقضاء والشرطة أهمية خاصة في تاهرت، وفي واحات الصحراء التي التجأ إليها الإباضية بعد سقوط الدولة الرستمية على يد أبي عبيد الله الشيعي، حيث لوحظ إمتداد هذه الأنظمة القديمة في هيئات العزابة (الهيئة الدينية) والمقاديم (الرؤساء المدنيين)، الذين كانوا يقومون بدور كبير في الإشراف على الأسواق، ومراقبة أهل المدينة ومعاقبتهم... أما الفئة الذين تقع على عاتقها مسؤولية حراسة المدينة، فهي فئة الشباب (إمصوردان)، والتي فضلا عن ذلك فهي تقوم بجميع الأعمال التي تتطلبها صيانة المسجد ومنشآته[42].

5. تحليل النتائج:

عرف نظام الحسبة في بلاد المغرب اختلافا في الوظيفة، فبينما نجد ذكر كلمتي "الحسبة" و"الاحتساب" في تاهرت، فقد كان يطلق عليه في الأندلس بـ "صاحب السوق". وكان تعيينه مباشرة من الإمام كتعيين الإمام أبي بكر بن افلح لأخيه اليقظان محتسبا، في حين كان تعيينه في الأندلس من القاضي الذي يعينه الأمير أو حاكم المدينة.

لكن، يذكر المرحوم موسى لقبال في كتابه الصادر سنة 1971م أن الحسبة في الدولة الرستمية لم تكن معروفة بهذا الإسم، وإنما كانت تعرف باسم صاحبها وهو "المشرف على السوق"، معزيا ورود هذه الجملة كثيرا في كتاب ابن الصغير، وهو ما فنداه محققي كتاب "أخبار الأئمة الرستميين" الدكتورين إبراهيم بحاز ومحمد ناصر، والصادر سنة 1985م، اللذين أكدا على عدم وجود ذكر لها في نسختهما– وقفنا في الكتاب على الذي "يتجول في الأسواق"– بما أنهما اعتمدا

على نسخة المستشرق البولوني موتيلانسكي (Motylinski) الذي نقلها من نسخة وحيدة في وادي مزاب- مفقودة حاليا- والتي طبعت ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي انعقد في الجزائر سنة 1905م. ما يدفعنا للإستفسار عن مخطوط ابن الصغير الذي اعتمده الدكتور لقبال في تأريخه للحسبة عند الرستميين، خاصة في ذكره لحدث آخر في كتابه، لم يرد بذلك التفصيل في النسخة المحققة من الدكتورين بحاز وناصر.

وليس لدينا معلومات ما إذا المحتسب من مهامه مراقبة التجار في معاملاتهم التجارية من كيل ووزن وعملة، إلا أن المتبادر في الذهن أنه ما دامت مهنته هي المشي في الأسواق وتغيير المنكر، فلا يستبعد أن يكون كل ما يجري في السوق داخل في مهمة المحتسب، وكنا استدلينا بآمر سوق جادو بجبل نفوسة الذي كان يأذن لمن شاء بالبيع ويمنع من في ماله شبهة.

6. خاتمة:

يبدو مما سبق أنه قد سجل بتاهرت تشابه في بعض وظائف الحسبة والقضاء والشرطة، ولكن وظيفة المحتسب كانت أعلى شأنا بدليل النص السالف ذكره؛ فبعد تعيين أبي اليقظان كمحتسب في عهد أخيه الإمام كان يستمع إليه "العمال والقضاة واصحاب الشرطة"، إلا أن التشابه يظهر مثلا في أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مهام المحتسب والقاضي، وزجر ومعاقبة الفساق من مهام المحتسب وصاحب الشرطة، اللذين يساعدهما أعوان. وكل هؤلاء حريصون ومراعون للجانب الأخلاقي في الدولة.

وبالعودة إلى جهاز الشرطة الأقدم في الدولة، والذي أنشأ منذ عهد الإمام عبد الرحمان، وكان بيده الضرب والقيد والسجن، فيبدو أنه قد أصبح شغل الدولة الشاغل في عهود الأئمة الرستميين، وطبيعي أن يهتم به هؤلاء نظرا لأهميته في حفظ الأمن في أرجاء الدولة، وخاصة في أيام الفتن التي زعزعت استقرارها. ألم يعين الإمام أبو حاتم رجلي شرطة في عهده؟

وفي هذا الإطار يتجلى بوضوح تقليد اختيار أبي اليقظان والأئمة بعده لجماعة نفوسة للإشراف على الحسبة والشرطة وحتى القضاء، لمكانتها في تسيير المصالح المختلفة للدولة، وإخلاصها لهم، وهو ما يظهر من وقوفها في صفهم أيضا في أيام الفتن التي كانت تعصف بالدولة

فيما بعد. وكل هؤلاء تحت الإشراف المباشر للإمام الذي يسهر بنفسه على أمن المدينة، فهو القائد العسكري والمسؤول عن صرف أموال الدولة، ويعتبر القاضي الأعلى فيها، وفوق كل هذا هو الزعيم الروحي للمذهب.

ختاما، يمكن لباحث ما مستقبلا عمل دراسة عن امتداد هذه الأنظمة التي عرفتها الدولة الرستمية أو تطورها، والأخذ بها أو تعديلها بما يتلائم والتركيبة السكانية وطبيعة منطقة وادي مزاب، التي تبنت المذهب الإباضي الذي كان المذهب الرسمي آنذاك بتاهرت.

7. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

1. المصادر:

أ- باللغة العربية:

1- ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ العلامة ابن خلدون، بيروت- لبنان: دار الكتاب، مج 1، د.ط، 1981.

2- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين (القرن الثالث الهجري)، تحقيق وتعليق: د. محمد ناصر وإبراهيم بحاز، د.ط، 1985.

3- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان وليفي بروفنسال، بيروت- لبنان: دار الثقافة، ج 1، ط 3، 1983.

4- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري 630هـ- 711هـ، لسان العرب، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والنشر، الجزء الأول (فصل الحاء، حرف الباء)، د.ط، 1308هـ/ 1891م.

5- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد رحمه الله المتوفى حوالي 670هـ: كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: ابراهيم طلاي، قسنطينة- الجزائر: مطبعة البعث، ج 1، د.ت.

6- الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد: كتاب السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، سلطنة عُمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ج 2، د.ط، 1408هـ/ 1987م.

2. المراجع:

1- بحاز ابراهيم بكير، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية 160-296هـ/ 777-909م، الجزائر: مطبعة لافوميك، ط 1، 1985.

2- بحاز ابراهيم بن بكير، الدولة الرستمية (160- 296هـ/ 777- 909م) دراسة في المجتمع والنظم، كتابك، د.ط، 1440هـ/ 2019م.

3- بضليس عيسى حمو، تاريخ الإباضية في خلاصات، غرداية: المطبعة العربية، د.ط، 1984.

4- الجنحاني الحبيب، المغرب الإسلامي الحياة الإقتصادية والإجتماعية (3- 4هـ/ 9- 10م)، تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، د.ت.

5- دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، طبع بدار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج 3، ط 1، 1383هـ/ 1963م.

6- لقبال موسى، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 1، ديسمبر 1971.

7- المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، ط 2، البليدة- الجزائر: نشر دار الكتاب، د.ط، 1382هـ/ 1963م.

ب- باللغة الأجنبية:

1- Pavard Claud, Lumière du M'zab, Editions DELROISSE, Paris-France.

- المقالات:

1- عباس إحسان، المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة الشؤون الدينية، ع 45، 01 ماي 1977.

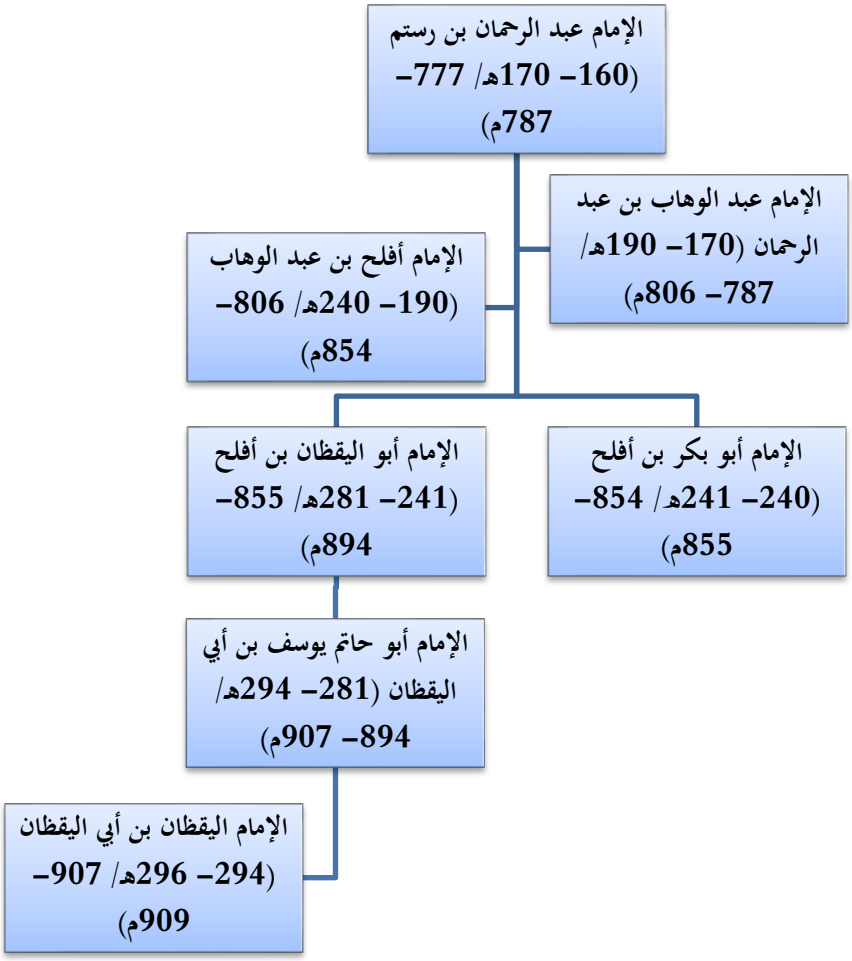
- **مواقع الانترنيت:**

عرايبية بلال، الدولة الرستمية:

https://jp.pinterest.com/pin/615937686560164503/(17/03/2025).

6. ملاحق:

الملحق رقم 1: الأئمة الرستميون



المصدر: عيسى حمو بضليس: **تاريخ الإباضية في خلاصات**، المطبعة العربية، غرداية، د.ط، 1984، ص ص 13- 14.

الملحق رقم 2: خريطة للحدود الجغرافية للدولة الرستمية والدول المجاورة لها



الدولة الرستمية والدول المجاورة لها

المصدر: بلال عرايبية، الدولة الرستمية:
https://jp.pinterest.com/pin/615937686560164503/(17/03/2025).

7. هوامش:

[1] جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور 630هـ- 711هـ: **لسان العرب**، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، الجزء الأول (فصل الحاء، حرف الباء)، د.ط، 1308هـ/ 1891م، ص 307.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون: **تاريخ العلامة ابن خلدون**، دار الكتاب، بيروت- لبنان، المجلد 1، د.ط، 1981، ص ص 398- 399.

[3] ابراهيم بكير بحاز: **الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية 160-296هـ/ 777-909م**، مطبعة لافوميك- الجزائر، ط 1، 1985، ص 246. أنظر كذلك:

ابراهيم بن بكير بحاز: **الدولة الرستمية (160- 296هـ/ 777- 909م) دراسة في المجتمع والنظم**، كتابك، د.ط، 1440هـ/ 2019م، ص 215.

[4] ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين (القرن الثالث الهجري)**، تحقيق وتعليق: د. محمد ناصر وإبراهيم بحاز، د.ط، 1985، ص 63.

[5] ينظر الملحق رقم 1: الأئمة الرستميون.

[6] الشراة كلمة مقتبسة من إمامة الشراء وهي من بين الأنواع الأربعة للإمامة عند الإباضية التي تعرف بمسالك الدين. والشراة هم علماء الإباضية الذين يقومون بالرقابة على سير أحوال الإمام والإمامة بصفة عامة، ويتدخلون لإثبات الحق وإحقاق العدل كلما اقتضت الضرورة ذلك، وبالتالي فهو نظام خاص بالدولة الرستمية. والكلمة مقتبسة من قوله تعالى: "ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله" سورة البقرة آية 207، وكذلك سورة التوبة آية 111. ينظر: بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع....، المرجع السابق، ص ص 79- 80.

[7] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص 63- 64.

[8] نفسه، ص 64.

[9] بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع....، المرجع السابق، ص 247. ينظر كذلك:
بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع...، المرجع السابق، ص ص 215- 216.

[10] محمد إبن عرفة من المقدمين في البلاط الرستمي في عهد الإمامين أفلح وأبي بكر. صُهر إلى الإمام أبي بكر (تزوج الإمام أخته أو ابنته) وصهره الإمام (تزوج أخت الإمام)، لذلك بلغ من النفوذ مبلغا عظيما. ينظر:
ابن الصغير، المصدر السابق، ص 61.

[11] بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع....، المرجع السابق، ص 248. ينظر كذلك:
بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع...، المرجع السابق، ص 217.

[12] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 77.

[13] محمد علي دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، طبع بدار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج 3، ط 1، 1383هـ/ 1963م، ص 362.

[14] نفسه، ص ص 363- 364.

[15] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 54.

[16] أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي: **كتاب السير**، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ج 2، د.ط، 1408هـ/ 1987، ص 24.

[17] ينظر الملحق رقم 2: خريطة للحدود الجغرافية للدولة الرستمية والدول المجاورة لها.

[18] أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، أحد حملة العلم الإباضية الخمسة إلى المغرب، إلتقى بالأربعة وهم عبد الرحمان بن رستم، وعاصم السدراتي، وأبي داود القبلي النفزاوي، واسماعيل بن درار الغدامسي

بالبصرة، فأخذوا العلم هناك من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة مدة خمس سنوات (135- 140/ 753- 757)هـ، ومنها رجعوا إلى المغرب لنشر مذهب الإباضية. وكان شيخهم أبو عبيدة قد اقترح عليهم إن أنسوا من أنفسهم قوة وأرادوا إعلان إمامة أباضية، أن يعقدوها لأبي الخطاب، وكان كما أراد. ينظر: بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع....، المرجع السابق، ص 65.

[19] موسى لقبال: **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها وتطورها**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، ديسمبر 1971، ص 32.

[20] أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني رحمه الله المتوفى حوالي 670هـ: **كتاب طبقات المشائخ بالمغرب**، تحقيق: ابراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة- الجزائر ج 1، د.ط، د.ت، ص ص 26- 27.

[21] ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ج 1، ط 3، 1983، ص ص 118- 119.

[22] لقبال، المرجع السابق، ص 32.

[23] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص 79- 80.

[24] لقبال، المرجع السابق، ص 33.

[25] أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، نشر دار الكتاب، البليدة- الجزائر، ط 2، 1382هـ/ 1963م، ص 24.

[26] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 35.

[27] الحبيب الجنحاني: **المغرب الإسلامي الحياة الإقتصادية والإجتماعية (3- 4هـ/ 9- 10م)**، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، د.ت، ص 136.

[28] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص 35- 36.

[29] نفسه، ص ص 31- 32.

[30] دبوز، المرجع السابق، 363.

[31] الجنحاني، المرجع السابق، ص 116.

[32] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص 101- 102.

[33] نفسه، ص ص 37، 44.

[34] نفسه، ص 37.

[35] الجنحاني، المرجع السابق، ص ص 123- 124.

[36] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 41.

[37] إحسان عباس: **المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين**، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة الشؤون الدينية، ع 45، 01 ماي 1977، ص 24.

[38] نفسه، ص 26.

[39] الجنحاني، المرجع السابق، ص 126.

[40] عباس، المرجع السابق، ص 77.

[41] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 54.

[42] Claud Pavard: **Lumière du M'zab**, Editions DELROISSE, Paris- France, p. 90.